



-1-

نعم، إنه انسحاب الأبطال المظفررين الذين آثروا الانسحاب الكريم على الدينية والهوان.
انسحبوا، نعم، ولكنهم انسحبوا بأسلحتهم مقاتلين كراماً مرفععي الرؤوس ولم يستسلموا الاستسلام الجبان.
عرضت عليهم الهدنة والبقاء فأبوا البقاء تحت سيف العدو، وعرضت عليهم المصالحة و"التسوية" ورغم العيش فرضاً
العيش الرغيد في أحضان الاحتلال.

ونعم أيضاً، لقد خسرنا الجولة، ولكنّا لم نخسر المعركة ولم نخسر الحرب.
إنها "جولة" في "معركة" حمص، وحمص "معركة" في "حرب" التحرير التي بدأت في سوريا كلها منذ ثلاث سنوات، وسوف
تستمر حتى النصر الكامل والفتح المبين إن شاء الله.

-2-

إن الشجاعة في القلوب كثيرة *** ووجدت شجعان العقول قليلاً

هذا ما يقوله شوقي، وقد صدق. إن الحرب لا تقوم إلا على عمودين، الرأي والشجاعة، والرأيُ أسبق، كما قال شاعرنا القديم:
"الرأي قبل شجاعة الشجعان".

قرأت ذات يوم كتاباً عنوانه "القرارات المهلكة" شارك في تأليفه عدد من كبار الضباط الألمان من قادة الحرب العالمية

يقول أولئك العسكريون المتمرّسون إن أكبر أربعة أخطاء ذات نتائج كارثية يرتكبها القادة في الحروب هي: عدم الهجوم حين ينبغي الهجوم، والهجوم حين ينبغي عدم الهجوم، والانسحاب حين ينبغي عدم الانسحاب، وعدم الانسحاب حين ينبغي الانسحاب.

قبل كتابة ذلك الكتاب بقرون طويلة سُئل عنترة: بم شاع عنك أنك أشجع العرب وأشدّها؟ قال: "كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً، ولا أدخل موضعًا لا أرى لي فيه مخرجاً".

-3-

كثير في هذه الأيام الحديث عن معركة مؤتة وانسحاب خالد رضي الله عنه منها، ويا له من استحضار جميل لحادثة تاريخية كان قائد الانسحاب فيها واحداً من أعظم القادة العسكريين في التاريخ، وكان الشاهد على الانسحاب خير رجل عاش قط، محمد صلى الله عليه وسلم. فماذا قال الشاهد في انسحاب القائد؟

أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله بن جعفر أن خبر مقتل قادة جيش مؤتة وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم (أي بطريق الوحي) فخرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيداً أخذوا راية فقاتل حتى قُتل (أو قال: استشهد)، ثم أخذوا راية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قُتل (أو استشهد)، ثم أخذوا راية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قُتل (أو استشهد). ثم أخذوا راية سيف منسيوف الله، خالد بن الوليد، ففتح الله عليه".

وفي رواية أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه قال: "ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟ إنهم انطلقوا حتى لقوا العدو، فأصيب زيداً شهيداً، فاستغفروا له. فاستغفروا له الناس. (ونذكر مثل ذلك عن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، ثم قال): ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، اللهم هو سيف من سيفك فانصره".

في يومئذ سمي خالد سيف الله المسلول.

فسمي النبي صلى الله عليه انسحاب خالد بالجيش نصراً (في رواية) وسماه فتحاً (في رواية أخرى)، ومنح قائد الانسحاب أرفع وسام عسكري في التاريخ؛ وساماً لم ينله أحد قبله ولم ينله أحد بعده، قدمه له قائد البشرية وخير البرية: لقب "سيف الله المسلول".

-4-

بالمعايير العسكرية صار سقوط حمص أمراً حتمياً منذ شهور طويلة، فقد أحكم العدو عليها الحصار وسدّت الأنفاق التي كان الثوار يحصلون عبرها على بعض الأغذية والذخيرة، وفشلت عدة عمليات لكسر الحصار من الداخل، ولم يبقَ أمل إلا بتجدة تأتي من خارج الحصار، والبديل هو الانتحار.

أيصح أن ينحر ألفان من خيرة مجاهدي سوريا أنفسهم لكي يؤخروا السقوط المحتمم؟
وكيف و"حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار" كما يقول العلماء؟

وكيف وهم أشدّ نفعاً لحمص لو خرجوا فأعدوا العدة ثم عادوا إليها فاتحين؟
سنتان ولم تأت النجدة من خارج الحصار، ثم نسمع أصواتاً ناشرزة تلوم المجاهدين!

لقد استنفذ الأبطال المحاصرون في حمص الوسع واستفرغوا الإمكانيات، وصبروا حتى خجل الصبر من صبرهم، واستغاثوا حتى ضجّت باستغاثاتهم الدنيا وسمعوا المسلمين في أقطار الأرض، فإنْ كان أحدُ يُلام فكلّ الناس يُلامون إلا هم، أو يُلام على التحقيق كل من كان يملك أن يصنع لحمص شيئاً ثم لم يصنعه، كائناً من كان، عرفه الناس أو لم يعرفوه، ويوم

العرض الأكبر تُنشر القراءات وتفتح السجلات وتُعرض الحسابات.

كل من ساهم في بيع حمص مجرم آخر سيلعنه الناس ويلعنه التاريخ، كل من شارك في عرقلة حملات فك الحصار عن حمص مجرم آخر سيلعنه الناس ويلعنه التاريخ، كل من أعاد وصول الدعم إلى حمص مجرم آخر سيلعنه الناس ويلعنه التاريخ. لعنة الله على داعش، لعنة الله على أمراء الحرب ولصوص الثورة.

-5-

ستنان والناس يموتون في الحصار ببطء ويستصرخون ولا سامع ولا مجيب، والآن خرج المُفتون في صفحات الفيس بوك كما يخرج الكما (الفطر البري) في أرض الصحراء، يُفتون وبهذرون بما ليس لهم به علم، يلومون ضحايا الحصار وقد كان أولى بهم أن يلوموا أنفسهم ويلوموا الجنَّةَ الحقيقين، الخَوَّةَ والمُقْسِرِينَ والمُتَقَاعِسِينَ.

غفلوا عن آيةٍ في كتاب الله ليس لها عذر: {وَإِنْ اسْتَنْصِرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ الْنَّصْرُ}، وتدكروا آيةً لأصحابها مئةً عذر: {وَمَنْ يُولَّهُمْ يُوْمَئِذٍ دُبُرَهُ}، فاتهموا المنسحبين من حمص بارتكاب كبيرة التولي وهددهم بغضب الله. وأين ذهبوا بتتمة الآية:

{إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقتالٍ أَوْ مُتَحَيَّزًا إِلَى فَتَةٍ}

ليس متولياً من تحرَّف لقتال، قال القرطبي في التفسير: "فالمحرف من جانب إلى جانب لمكايد الحرب غير منهزم، وكذا المتخيَّز إذا نوى التخيَّز إلى فتاة من المسلمين ليستعين بهم فيرجع إلى القتال غير منهزم أيضاً".
وهؤلاء الرجال الأبطال ما خرجن من حمص فراراً من القتال، بل خرجنوا ليسأنفوا القتال. إنهم العكارون.

عن عبد الله بن عمر قال: لقينا العدو، فخاص المسلمين حِيصةً (أي جالوا يطلبون المحيص، والمحيص هو المهرب، كما في قوله تعالى: {وَمَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ}). قال: فكنت فيَّ حاصَ، فدخلنا المدينةَ فتعرَّضنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج للصلوة فقلنا: يا رسول الله، نحن الفَرَّارُونَ.
قال: لا، بل أنتم العكارون؛ إني فتة لكم".

قال أهل اللغة: العكارون هم العَطَافُونَ، ويقال للرجل الذي يولي عند الحرب ثم يكرر راجعاً: عَكَّرَ واعتكرَ.
وكل ذلك في الحرب التي يقف فيها واحدٌ من المسلمين أمام واحدٍ من الأعداء أو اثنين، فإن كانوا أكثر فلا تولي ولا لوم.
فكما بلغ الأعداء الذين أحاطوا بمجاهدي حمص المحاصرين؟

روى ابن أبي شيبة عن ابن عباس: "من فر من ثلاثة لم يفر، ومن فر من اثنين فقد فر". هذا وأبطال حمص لم يفرُوا بل هم قد تحرّفوا للقتال، وإنما سقط ذلك كله ليقرأه المتفقهون.

-6-

كلمة الخاتمة:

كانت حمص عاصمة الثورة في أول الأمر، وبقيت حمص عاصمة الثورة من بعد، وستعود حمص إلى الثورة وتقود الثورة إلى النصر بإذن الله.

سأحكى لكم ما وقع من أحد الإخوة المجاهدين يوم أمس، وهو قائد لإحدى المجموعات المجاهدة في حمص المحاصرة: خرج إلى الحرية بعد سنتين من الحصار وبعدما أمضى شهوراً طويلاً لم يأكل فيها أي طعام كالذي نأكله، إنما هو المرق المخلوط ببعض الحشائش والبقول، فماذا كان أول ما فكر فيه بعد الخروج من الحصار؟ وليمة من المشاوي والمحاشي ولذائف الأطعمة؟ حماماً ساخناً وثياباً جديدة نظيفة؟ إجازة استجمام وراحة لمدة أسبوع؟

لا يا سادة، إن أول ما طلبه أنه قال: أرسلوا إلينا بعض الدعاة فإننا سنبدأ معاً بعد غد، وابدؤوا بجمع التبرعات لأننا سنبدأ منذ اليوم بشراء السلاح والاستعداد للعودة إلى حمص.

أقسم بالله غير حانت إن هذه حقيقة من الحقائق لا خيال من الخيالات، وإن بدا أنها أقرب إلى الخيال.

أهؤلاء قوم مهزومون؟ ليت المسلمين كلهم يهزمون لو كانت هذه هزيمة!

لن نهزم وفيينا أمثال هؤلاء إن شاء الله.

المصادر: